

أما بعد أيها الإخوة الكرام: قد تحدثنا في اللقاءات الماضية عن الطرق الموصلة إلى معرفة الله عز وجل ونحن اليوم أيها الإخوة نعيش ذكرى مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتابع في سلسلتنا ونذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم هو الطريق الأعظم الذي يوصل إلى الله عز وجل، فإذا كان التفكير في خلق السموات والأرض والجبال وما فيها ومن فيها يوصل إلى الله عز وجل فالتفكير في سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعظم الطرق التي توصل إلى الله عز وجل فرسول الله صلى الله عليه وسلم هو باب الله الأعظم، لا يمكن أن يتعرف على الله تبارك وتعالى إلا من خلاله فحركاته عبادة وطريقة طعامه عبادة وطريقة كلامه وكل حركاته وسكناته عبادةً لو تأملنا فيها وتدبرناها حقيقةً لكان ذلك موصلاً إلى معرفة الله عز وجل وليس هذا خاصاً بالمسلمين، لو أن شخصاً منصفاً تأمل في وقائع حياته وتدبرها منصفاً -والإنصاف خير الأوصاف- لو أن شخصاً

تدبر سيرته من غير المسلمين لعرف أنه رسول الله حقاً وأنه خاتم الأنبياء والمرسلين ولا استدل على صحة رسالته وما أتى به من خلال النظر في معالم سيرته صلى الله عليه وسلم، يقول ابن حزم الظاهري -واسمعوا إلى هذا النص في كتابه "مداواة الأخلاق وتهذيب النفوس" يقول ابن حزم: من أراد خير الآخرة وحكمة الدنيا وعدل السيرة والاستواء على محاسن الأخلاق كلها واستحقاق الفضائل بأسرها فليقتد بمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وليعتمد أخلاقه وسيرته ما أمكنه، فمن أراد أن يأخذ بمجامع الخير ظاهراً وباطناً فالمبدأ والمنطلق والسبيل الوحيد هو التأمل في رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويقول ابن حزم أيضاً في مقالة أخرى له يقول: إن سيرة محمد صلى الله عليه وسلم لمن تدبرها -لاحظوا هذا القيد هو أهم قيد في نص ابن حزم، كثيرون هم الذين يقرؤون السيرة يمرون عليها مروراً كراماً دون أن يعملوا فيها عقولهم دون أن يعملوا فيها أفكارهم - ابن

حزم يقول: إن سيرة محمدٍ صلى الله عليه وسلم لمن تدبرها تقتضي ضرورةً تصديقه بكل ما جاء به وتشهد له بأنه رسول الله حقاً ولولم تكن له معجزةٌ غير سيرته لكفى، لا تقلُّ سيرته أهميةً عن معجزاته المادية والحسية التي جاء بها كنبع الماء من بين أصابعه وتسبيح الحصى وانشقاق القمر، ابن حزم يقول: لولم تكن له معجزة - لا نبع الماء ولا تسبيح الحصى ولا انشقاق القمر - لولم تكن له معجزةٌ غير سيرته والتأمل في سيرته لكفى بها معجزةٌ دالةٌ على صدق رسالته وأنه مبعوثٌ من رب العالمين، ولا حظوا القيد الثاني الذي ذكره إن سيرة محمدٍ صلى الله عليه وسلم لمن تدبرها تقتضي تصديقه ضرورةً يعني: بالبداهة من تأمل في سيرته لا يحتاج أن يعمل عقله كثيراً ليستدل أنه رسول الله، بمجرد أن تتأمل سيرته ينقدح في ذهنك صدقه وأنه مبعوثٌ من عند الله عز وجل دون أن تعمل عقلك كثيراً، هذا معنى الضرورة البداة لمن تدبرها تقتضي صدقه ضرورةً وتشهد له بأنه

رسول الله حقاً ولولم تكن له معجزةٌ غير سيرته لكفى،
وبالأمس أيها الإخوة كنت أخاطب بعضكم ولمن لم يسمع
فليسمع بالأمس أيها الإخوة الكرام قلت لإخواننا: ينقضي
شهر المولد بعضهم يتخذه شهراً للغزل والمديح وهو جانبٌ
مهمٌ فرضٌ على كل مسلمٍ أن يمدح رسول الله صلى الله
عليه وسلم، لكن أن نكتفي بالغزل والمديح مجرداً عن
التأمل في سيرته ومعرفة حقائقها ووقائعها واتخاذها طريقاً
إلى الله عز وجل لعلنا نظلم صاحب الذكرى صلى الله عليه
وسلم، فينبغي علينا في هذا الشهر أن نقوم أيها الإخوة
بدراسة معالم سيرته وقراءة تفاصيل حياته ولن تحل مشاكلنا
ولن تربى أسرنا ولن نسعد في حياتنا إلا إذا عرفناه صلى الله
عليه وسلم، شنع الله عز وجل على مشركي مكة فقال: {أم
لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون} أمنا وأماننا مرهون به
صلى الله عليه وسلم، ثقافتنا واقتصادنا واجتماعنا وأسرنا
وعلمنا ومعرفتنا وكل شيء في حياتنا الدنيا مربوطٌ به صلى

الله عليه وسلم، فكل وسيلةٍ تتخذ لا من طريقه فهي وسيلةٌ خائبة خاسرة لا يمكن أن توصل الإنسان إلى مقصوده، سمي الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم في موطنين أعرفهما في كتاب الله عز وجل سماه الله نوراً؛ لأن بالنور يهتدى؛ لأن بالنور تتبدد الظلمات، أرأيت الذي يمشي بلا نور كيف يكون شأنه؟ يقول الله عز وجل: {يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً} لاحظوا جمال الوصف الذي يصف به رب العالمين خير الورى صلى الله عليه وسلم {وسراجاً منيراً} والعلماء يقولون: سمي الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم سراجاً لأن به يستدل على الأشياء فإذا أردت أن تعرف الله فبالسراج المنير تعرفه، إذا أردت أن تحل مشاكلك فبالسراج المنير تحل، إذا أردت أن تسعد في الدنيا وتدفع عنك الشقاء دفعاً فبالسراج المنير تدفعها، وبغير السراج المنير {ظلماتٌ بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها}

قالوا: السراج تشعل منه آلاف السرج ولا يخفت ضوءه، وكل السرج التي أضاءت اليوم في المشارق والمغارب فهي من سراج محمدٍ صلى الله عليه وسلم {إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً} قال الله عز وجل في سورة المائدة: {يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نورٌ وكتابٌ مبينٌ} والنور في الآية: سيد الخلق صلى الله عليه وسلم {قد جاءكم من الله نورٌ وكتابٌ مبينٌ* يهدي به الله} بهذا النور نهدي {يهدي به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراطٍ مستقيم} فمن أراد أن يتعرف على الله فالتفكر في هديه صلى الله عليه وسلم هو الطريق الأمثل الذي يوصل إلى الله عز وجل، يقول ابن حزم مستدلاً بمثالٍ من سيرته ليستدل الإنسان به على الله عز وجل يقول: نشأ رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيئةٍ

جاهلة لا يقرأ ولا يكتب ولم يخرج من مكة المكرمة إلا
خرجتين الخرجة الأولى مع عمه أبي طالب إلى أول الشام
في التجارة وكان طفلاً صغيراً ثم رجع، والخرجة الثانية لما
خرج في التجارة إلى أول الشام أيضاً ثم رجع، ما خرج النبي
صلى الله عليه وسلم إلا هاتين الخرجتين حتى توفاه الله عز
وجل ودرعه ذات الفضول مرهونة في آصع من شعير لقوت
أهله، ثم يقول ابن حزم: وأوطأ الله له رقاب العرب جميعاً
فلم تتغير نفسه، أوطأ له رقاب العرب يعني: أخضعها له،
أوطأ الله له رقاب العرب جميعاً فلم تتغير نفسه، من منا أيها
الإخوة الكرام إذا اغتنى بقي على ما كان عليه إذا كان فقيراً؟
من منا لا تغيره المناصب؟ من منا لا تغيره الرفعة الدنيوية؟
ابن حزم يقول: لم يتغير رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل
أن يملك العرب جميعاً ولا بعد أن ملكهم، أوطأ الله عز
وجل له رقاب العرب جميعاً فلم تتغير نفسه ومات ودرعه
مرهونة في آصع من شعير من أجل قوت أهله وكان يخصف

نعله وكان يكنس بيته وكان يرقع ثوبه وكان يأكل على الأرض
كالعبد وكان يؤثر على نفسه صلى الله عليه وسلم، ما عهد
عنه زلة في حياته كلها لم يغير المال من نفسه شيئاً، لم يغير
المنصب من نفسه شيئاً لم تغير الدنيا من واقع حياته شيئاً
وكفى بذلك دلالة على أنه مبعوث من الله عز وجل وأنه
رسول الله صدقاً صلوات الله وسلامه عليه، هو الذي قلب
بسيرته العدو صديقاً والقاتل مدافعاً وأضرب لكم أمثلة على
ذلك وقد ألفت الكتب في الأشخاص الذين جاءوا لقتله
جاءوا من أجل أن يقضوا عليه وينهوا رسالته ألف كتاب
اسمه "مناورات الأشرقياء في اغتيال خاتم الأنبياء" جمع في
هذا الكتاب شخصيات كانت حريصة على قتله وإبادته
وإيقاف دعوته، ما إن التقوا به وتأملوا صورته وسيرته وحياته
وسلوكة تدبراً وتعقلاً حتى انقلبوا رأساً على عقب انقلب
العدو صديقاً، والقاتل مدافعاً، يأتي عمرو بن العاص يذهب
إلى الحبشة من أجل أن يعتقل المسلمين الذين أمرهم رسول

الله صلى الله عليه وسلم بالهجرة حفاظاً على أنفسهم
تمضي الأيام ويتأمل هذا الرجل سيرته صلى الله عليه وسلم
ثم يأتي بعد ذلك نفسه الذي كان يريد أن يوقف الدعوة
يذهب بنفسه إلى ملك عمان داعياً إلى الله عز وجل ويرجع
ليبشر رسول الله صلى الله عليه وسلم بدخول آلاف الناس
في دين الله أفواجا، هذا خالد بن الوليد رضي الله عنه قائد
جيش المشركين في غزوة أحد في مكة آذى المسلمين إيذاءً
شديداً من أجل أن يصد عن رسالته صلى الله عليه وسلم
تأتي الأيام ويأتي خاضعاً قلبه وعقله إلى النبي صلى الله
عليه وسلم ويكسر اللات والعزى والأصنام بيده ويفتح الله
على يديه، بالأمس كنت تحاربه اليوم تدبرته وعرفته حقاً
{ قد جاءكم من الله نورٌ وكتابٌ مبين }، هذا سهيل بن عمرو
يعقد رسول الله صلى الله عليه وسلم بنود الحديبية معه
فيقول صلى الله عليه وسلم لكاتب الصلح: اكتب هذا ما
تعاهد عليه محمدٌ رسول الله مع سهيل بن عمرو فينتفض

سهيل بن عمرو ويقول: لا تكتب رسول الله لو كنت أعتقد
بأنك رسول الله ما حاربتك اكتب محمد بن عبد الله، رفض
أن يسمع كلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، يتوفى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وتحدث بوادى الردة في شبه الجزيرة
العربية فيقف سهيل بن عمرو خطيباً يثبت الذين أوشكوا أن
يرتدوا ليقنعهم بأنه رسول الله صدقاً ويقول: يا معشر العرب
لا تكونوا آخر الناس إسلاماً وأولهم ردةً، بالأمس كنت
ترفض أن تكتب رسول الله واليوم تستدل خطيباً في مكة
وفي المدينة على صدق رسالته وصدق نبوته وصدق شخصه
وأنه مبعوثٌ من عند الله عز وجل، لماذا انقلب العدو صديقاً
والقاتل مدافعاً؟ لأنهم تدبروا سيرته فعرفوا صدقه صلى الله
عليه وسلم، هذا سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه
يستل سيفه إلى بيت أخته فاطمة من أجل أن يقتلها ويقول:
أن هذا الرجل الذي فرق شأننا وفرق جمعنا وسفه آلهتنا
يذهب لقتل النبي صلى الله عليه وسلم يأتي شخصٌ ويقول

له: قبل أن تقتله اذهب إلى أختك التي على دين محمد،
هو نفسه بعد سنوات يقف بين الصحابة ويقول: من يقل
إن محمداً قد قتل أو مات صلى الله عليه وسلم سوف
أضرب عنقه، بالأمس كان يضرب عنق من آمن به واليوم لا
يطيق من شدة محبته وتعلقه برسول الهدى صلى الله عليه
وسلم أن يقال: إن محمداً قد قتل، هذا أبو سفيان بن حرب
هاجي رسول الله صلى الله عليه وسلم يهجو ويسيء إليه
ويدافع عن المشركين ضد دينه يُرى في وقعة حنين خادماً
يجر ناقة النبي صلى الله عليه وسلم في معركة حنين، هذا
وحشي يأتي ليقتل حمزة بن عبد المطلب، قتل أحب الناس
إلى قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم، تمضي الأيام
يعمل عقله ويعمل فكره ويأتي حياً خاضعاً منكسراً ليقف
بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولينطق الشهادة
أمامه ويكفر عن خطيئته بقتله شر الناس مسيلمة الكذاب
ويقول: قتلت بحررتي هذه خير الناس حمزة بن عبد المطلب

وأكفر عن ذنبي بقتل شر الناس مسيلمة الكذاب، هذا أبو عمرو الطفيل الدوسي يأتي إلى مكة المكرمة يضع الكرسي في أذنيه، لماذا؟ قال: لا أريد أن أسمع كلام رسول الله، لا أريد أن أسمع محمد، تمضي الأيام ويحمل بنفسه صوت محمد صلى الله عليه وسلم إلى أهله وقبيلته، كيف قلب رسول الله هؤلاء الناس؟ كيف قلبهم رأساً على عقب؟ لأنهم تدبروا سيرته وتعقلوها وتفكروا بها فكانت خير هادٍ إلى الله تبارك وتعالى {إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً} أقل الحق علينا أيها الإخوة في هذه الذكرى المباركة أن نزداد معرفة وتبصراً وتعقلاً في سيرته، من قرأها بتدبرٍ اطمأن وسعد ودفع الله عز وجل عنه الشقاء دفعاً، قراءة سيرته عبادة، التأمل في حياته عبادة، التأمل في أقواله وأفعاله عبادة من خلاله يعبد الله ومن خلاله يعرف الله ومن خلاله يستدل على الله سبحانه وتعالى، هذه كلمات أضعها بين أيديكم لكي نعرف حق صاحب الذكرى

صلى الله عليه وسلم ولنتدبرها ونتأملها لنهتدي بها إلى الله
عز وجل، من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها ثم إلى
ربكم ترجعون، أقول ما تسمعون وأستغفر الله العظيم لي
ولكم فيا فوز المستغفرين استغفروا الله.